

من عمر إلى عمر

كان كثيرا ما يقول عمر بن الخطاب :

— من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة
يملاء الأرض عدلا ؟ ٠٠٠ ؟

زواج

كان الفاروق عمر بن الخطاب يجوب شوارع المدينة والليل قد أرخى سدوله ، والسكون قد عم الكون ، وطال به المسير والطواف حتى أصابه شيء من الكلال ، فأتى إلى جدار بيت من البيوت ، وإذا بأصوات نسائية تخترق حجب الليل وتطرق أذنيه فيتبين منها حديث امرأة تقول :

يا ابنتاه . . قومي إلى ذلك اللبن فامدقيه بالماء . وعقب عبارتها سكوت . وأنصت عمر يريد أن يعرف ماذا تجيب الأخرى فسمعها تقول :

يا أماء ، أو ما علمت بما كان اليوم من عزمة أمير المؤمنين ؟

فقالت الأم : وما كان من عزمته يا بنية ؟

قالت : انه أمر مناديه فنادى ألا يشاب اللبن بالماء

فقالت أمها : قومي يا ابنتي إلى اللبن فامدقيه بالماء . فانك

بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادى عمر . .

فأجابت البنت أمها قائلة :

لا يا أماء . . والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا

. . ان كان عمر لا يعلم فانه عمر يعلم . .

وسمع عمر ذلك كله .. وكان معه رجل يدعى أسلم .. فقال
له يا أسلم : علم المكان ، واعرف الموضع .

ثم مضى مواصلا عيسيه وطوافه ..

فلما أصبح الصباح قال عمر : يا أسلم ، امض الى ذلك الموضع
فانظر من القائلة ومن المقول لها .. وهل لهما من بعل ؟

وذهب أسلم يستقصى الأمر .. ثم عاد الى عمر بن الخطاب
فأخبره أن الفتاة أيم لا بعل لها .. وأنها تعيش مع أمها وليس
لها رجل ..

ثم دعا عمر أولاده فاجتمعوا .. فقال : هل فيكم من يحتاج
الى امرأة أزوجه ؟ ولو كان بأبيكم حركة الى النساء ما سبقه أحد
منكم الى هذه الجارية

فقال عبد الله : لى زوجة

وقال عبد الرحمن : لى زوجة

وقال عاصم : يا أبتاه ، لا زوجة لى ، فزوجنى

وهكذا زوج عمر بن الخطاب تلك الفتاة التى أعجبت به بصوتها
وأمانتها وخلقها من ابنه عاصم ، فولدت لعاصم بنتا ، وولدت
البنت عمر بن عبد العزيز

بنو أمية

قتل عمر بن الخطاب ، وتولى الخلافة عثمان ثم قتل .

واستخلف على • وانتشرت الفتن والاحن حتى قتل على أيضا
فكان ثالث الخلفاء الذين قتلوا على التوالى • ثم تنازل ابنه الحسن
عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان •

واستمرت الحصومات •• وبقي الحسين بن على فى الحجاز
لا يرضى بمعاوية •• وتنصره شيعته فى مختلف الامصار •••
ولكن معاوية استطاع أن ينشر سلطانه ، ويوطد ملكه وصولجانه

وأراد معاوية أن يخصص الخلافة والملك فى بيته - بيت بنى
أمية - وأن يحقق دماء المسلمين فلا يختلفوا بعد موته فى من
يليه ، كما اختلفوا من قبل بعد عمر وعثمان ، فرأى أن يحصل
من الناس على بيعتهم لابنه يزيد بولاية العهد •• ودعا له بين
الأنصار ، ونشر الدعوة له فى مختلف الاقطار ، وأخذ يهدد من
يأبى ، ويجمع كلمة من يرضى ، حتى جمع الأمر ليزيد من
بعده •

وفى عهد يزيد قتل الحسين تلك القتلة الشنيعة ، وانتهدت
حرمة المدينة ، وحوصرت مكة ، ومات يزيد وهى محاصرة ••
فكان لهذه الحوادث أثرها فى كره يزيد ، والانتقاص من حكم
بنى أمية ، حتى لقد تهددت دولتهم بالفناء بعد موت يزيد ••
اذ كانت هناك بيعتان : بيعة فى الشام لمعاوية الثانى بن يزيد بن
معاوية ، وبيعة فى الحجاز لعبد الله بن الزبير بن العوام •• أما
معاوية بن يزيد فكان ضعيفا لا جلد له على خلافة ، ولا رغبة له فى
سلطان •• ورأى المسلمون منشقين فعجز عن لم شعئهم ،

واصلاح أمرهم .. وبعد قليل من خلافته نادى : الصلاة جامعة
فاجتمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

- أما بعد فإني قد ضعفت عن أمركم ، فابتغيت لكم مثل
عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده .. فابتغيت
سنة مثل سنة الشورى فلم أجدهم .. فأنتم أولى بأمركم
فاختاروا له من أحببتهم .. !

ثم دخل منزله واعتزل حتى مات بعد ثلاثة أشهر من
خلافته ..

أما عبد الله بن الزبير ، فقد مد نفوذه ، وبأيعه كثير من أهل
العراق ومصر ، وبعض أهل الشام . وكان لبني أمية فرعان
هامان ، فرع أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وفرع الحكم بن
العاص بن أمية .. وكان من الفرع الأول الخلفاء الثلاثة :
معاوية ، يزيد ، ومعاوية الثاني فلما مات الأخير اتجهت الأنظار
صوب الفرع الثاني ، إذ أصبح مروان بن الحكم كبير بني أمية ..
ولكن مروان أول الأمر ، أوشك أن يبايع عبد الله بن الزبير ،
لولا أن أشير عليه أن يطلب الخلافة لنفسه ففعل ووجد من
ينصره .. وتم له الأمر في الشام .

ثم سار مروان إلى مصر فافتتحها ، وبأيعه أهلها .. ثم عاد
إلى دمشق فأقام بها وظل مدة قصيرة وله الأمر في الشام ومصر
لا يتجاوزهما .. حتى مات في رمضان سنة ٦٥ هجرية ..

وكان قد عهد بالخلافة من بعده لولديه عبد الملك ثم عبد العزيز .

أما عبد الملك فقد تولى الخلافة . . وأما عبد العزيز فقد حرّمته الأقدار من أن يتولى الخلافة ولو أنها سعت بعد ذلك سعيها الى ابنه عمر بن عبد العزيز . .

ولقد ظلت الخلافة فى الفرع الثانى من البيت الأموى منذ توليها مروان بن الحكم . . وأصبح خلفاء بنى أمية ثلاثة عشر . . ثلاثة من الفرع الأول . . بدأوا بمعاوية بن أبى سفيان وقد تمت له البيعة سنة ٤١ هجرية ، وعشرة من الفرع الثانى بدأوا بمروان الأول وانتهوا بمروان الثانى الذى قتل فى صعيد مصر على يد أحد أتباع أبى العباس السفاح فانتهدت بقتله الدولة الأموية فى سنة ١٣٢ هجرية . .

وكان عمر بن عبد العزيز ثامن الخلفاء الأمويين .

فى مصر

أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب ، فقال للمشرف على أمواله : اجمعلى أربعمائة دينار من طيب مالى ، فانى أريد أن أتزوج الى أهل بيت لهم صلاح . .

وبهذه الدنانير الأربعمائة ، التى تعادل مائتى جنيه من العملة

المصرية ، تزوج عبد العزيز بن مروان من حفيدة عمر بن الخطاب
•• مع ما كان عليه الخلفاء الامويون من غنى وثروة • وكان أن
أنجب هذا الزواج ، عمر بن عبد العزيز ، ليعيد من جديد عهد
جده الاكبر عمر بن الخطاب •• الذى حكى عنه أنه استيقظ من
نومه مرة ، فمسح النوم عن وجهه وفرك عينيه وهو يقول : من
هذا الذى من ولد عمر ، يسمى عمر ، يسير سيرة عمر ؟ وأخذ
يردد ذلك مرات ••

وأصبح عبد العزيز بن مروان واليا على مصر، وروى أنه دخل
مصر مع أبيه مروان ، ثم تركه مروان أميرا عليها وعاد الى
دمشق ، حيث توفي بعد شهر قليل ، وتولى الخلافة بعده عبد
الملك ، فأقر أخاه عبد العزيز على ولاية مصر ••

وأقام عبد العزيز بمصر طويلا •• وبعد بضع سنوات من
ولايته عليها ، انتشر فى مصر وباء فخرج من مصر (الفسطاط)
ونزل فى (حلوان) ، وكانت قرية صغيرة •• فأعجبته فاتخذها
سكنا •• وجعل بها الحرس والاعوان ، وبني فيها الدور والمساجد
وعمرها أحسن عمارة ، وغرس نخلها وكرمها ••

وفى (حلوان) هذه ولد عمر بن عبد العزيز كما جاء فى
بعض الروايات ، وفى رواية أخرى أنه ولد فى مصر ، ولم يحدد
مكان ميلاده ، وفى رواية أخرى أنه ولد بالمدينة ، وتختلف
الروايات أيضا فى ميعاد ولادته •• وهو يتراوح بين السنوات
٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ هجرية •• ولعل الأرجح أنه ولد فى المدينة فى

أواخر سنة ٦٢ هجرية أو أوائل سنة ٦٣ هجرية .. ولا يمكن أن تكون ولادته في مصر إلا إذا كان هناك خطأ في التاريخ الخاص بامارة أبيه على مصر سنة ٦٥ هجرية وكان الصواب أنه تأمر عليها قبل ذلك ..

وسواء كانت ولادة عمر في المدينة أو في مصر .. فقد شب في مصر .. بل لعله عاش في حلوان بالذات مع أبيه .. ولابد أنه عاش طويلا في مصر .. واستمتع فيها بعيش رغد .. ورأى فيها نعيما كبيرا .. وعزا وفيرا .. يبين ذلك ما كان بينه وبين (ابن مافنة) فيما بعد عندما دخل عليه بعد أن أصبح خليفة .. وقد زهد الدنيا وبهرجها ، فألقاه قائما راكعا .. وإلى جواره مائة بسيطة .. وعليها صحيفة مخمرة .. فلما انتهى عمر من ركوعه أقبل فجلس .. فاجتذب المائدة بيده ثم قال لابن مافنة :
- كل .. أين عيشنا اليوم من عيشنا اذ كنا بمصر ..

أشج بني أمية

أما كيف وفد عمر الى مصر .. فقد روى أن أباه عبد العزيز بعد أن أصبح واليا .. كتب الى زوجته أم عاصم أن تقدم عليه ومعها بنوها .. فأنت عمها عبد الله بن عمر .. فأعلمته بكتاب زوجها اليها فقال لها :

- يا ابنة أخي : هو زوجك فالحقى به ..

فلما أرادت الخروج أراد عبد الله أن يحتجز ابنها عمر عنده فقال لها :

— خلفى هذا الغلام عندنا فانه أشبهكم بنا أهل البيت . .
فخلفته عنده ولم تخالفه . . فلما قدمت على عبد العزيز في مصر
تفقد بنيه فلم يجد عمر . . فقال لها :

— أين عمر . . ؟

فأنبأته خبر عبد الله عمها . . وما سألها عن تركه معه لشبهه
بهم . . فسر بذلك عبد العزيز وكتب الى أخيه الخليفة عبد الملك
ابن مروان يخبره بذلك . . فكتب عبد الملك أن يجرى عليه
ألف دينار في كل شهر . . ثم قدم عمر الى مصر مسلما على
أبيه . . فأقام عنده ما شاء الله . .

وركب عمر في طفولته إحدى الدواب ، فألقته من فوقها
فشج وجهه . . وقبل ضربته الدابة فشجته . . فبلغ ذلك أخاه
الاصبغ بن عبد العزيز . . فضحك الاصبغ وبلغ الحادث وضحك
أباه عبد العزيز

فاغتاض الأب . . وقال للاصبغ :

— يسقط أخوك فيشج . . فتضحك مسرورا بما أصابه . .
فقال الاصبغ :

— ليس الأمر كذلك . . لم يضحكني شماتة به ، ولا سرورا
بسقوطه . . ولكني كنت أرى العلامات من أشج بنى أمية مجتمعمة
فيه الا الشجة . . فلما سقط وشج سرنى ذلك لتكامل العلامات

فيه . . فأضحكنى . . وهو والله أشج بنى أمية .

فارتاب الأب ولعله تذكر ما كان يشعر به المبشرون والعرافون
عن أشج بنى أمية . . ولعله تذكر كيف كان عبد الله بن عمر
يقول : يا ليت شعري . . من هذا الذى من ولد عمر ، فى وجهه
علامة ، يملأ الارض عدلا . .

ودخل عبد العزيز على زوجته ، فوجدها تضم عمر اليها
لتزيح عنه بحنانها ألم الجراح ثم انتبهت لدخول زوجها ، ولم
تجد على وجهه آثار أسى فعاتبته ولامته على أنه لم يجعل مع عمر
من يحميه شر مثل هذا الحادث فقال لها :

اسكتى يا أم عاصم : فطوبى لك ان كان أشج بنى أمية . .

فى المدينة

ورأى عبد العزيز بن مروان أن يكون تأديب ابنه عمر فى
المدينة اذ كانت وقتئذ موطن أكابر الفقراء والعلماء . . فبعثه
اليها وكان غلاما صبيا . . وكتب الى صالح بن كيسان ليتعهده
فكان صالح يلزمه الصلاة . . فأبطأ يوما عنها فقال له صالح :
ما منعك . . فقال عمر :

- كانت مرجلتى تسكن شعري

فلامه صالح بن كيسان قائلا :

- أبلغ بك حيك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة . .

وكتب الى أبيه عبد العزيز بذلك .. فبعث اليه عبد العزيز
مؤنبها ناهرا ..

وكان عمر في المدينة ، يختلف الى عبيد الله بن عبد الله بن
عتبة ، يسمع منه العلم ، ويأخذ عنه الأحاديث .. وظل عمر
يذكر مؤدبه بالخير ، ويحفظ له مكانته . ويروى عنه الأحاديث
- وقد كان راوية لها - حتى لقد ذكر عن عمر أنه قال :

رويت عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أكثر مما رويت
عن جميع الناس .. وأنه قال : لو كان عبيد الله حيا ما صدرت
الا عن رأيه ، ولوددت أن لي بيوم واحد من عبيد الله كذا
وكذا . .

وهكذا نهل عمر في المدينة من مناهل العلم والتقوى ثم
تاقت نفسه الى العلم بالعربية فأتقنها ثم تاقت نفسه الى الشعر
فأصاب منه حاجته ..

فاطمة بنت عبد الملك

استتب الامر لعبد الملك بعد قتل عبد الله بن الزبير وقضى
على ماساد الامة العربية قبل خلافته من اضطرابات وخلافات ..
وما فتأ حتى جمعها أمة واحدة تدين لحليفة واحد ..

ولقد ذهبت في سبيل ذلك ضحايا كثيرة .. ولكن عبد الملك
كان قوى النفس ، ثابت الجأش فلم يتزعزع ولم يان حتى
استطاع أن يوحد المسلمين تحت لوائه

ووجد عبد الملك نفسه وقد جمع الامر بين يديه وأصبح
الحاكم المطلق . . فكره أن يعارضه أحد ، أو ينتقده منتقدا . .
حتى لقد وقف على المنبر مرة وقال :

- من قال لي بعد مقامي هذا اتق الله ، ضربت عنقه

ولكن عمر بن عبد العزيز لم يكن ليخاف أن ينتقده عمه بل
كان يقدم على قول الحق عنده رغم ما عرف عن جبروته . .
فكتب عمر الى عبد الملك يقول :

- أما بعد فانك راع ، وكل راع مسئول عن رعيتيه .
حدثني أنس بن مالك أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : كل راع مسئول عن رعيتيه . . ثم أضاف عمر في
كتابه (الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه ،
ومن أحسن من الله حديثا . . »

فغضب عبد الملك لهذه اللهجة التي يخاطبه بها هذا الشاب
الصغير ، ولكن من حوله أسكنوا غضبه

بيد أن عبد الملك في أعماق نفسه ، كان معجبا بعمر ابن
أخيه ، وكان يقدر له حكمته ، حتى يرغب في تزويجه ابنته
فاطمة . . فدعا عمر . . وقال له :

- قد زاوجك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبد الملك . .
فقال عمر :

- وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة فأعجب عبد الملك بجوابه ، وأبدى هذا الاعجاب أمام أولاده ، فقال بعضهم :

- هذا كلام تعلمه فأداه ..

فدخل عمر على عبد الملك يوما وكان معه بنوه فقال عبد الملك :
- كيف نفقتك ؟ فقال عمر :

- الحسنة بين السيئتين يا أمير المؤمنين
قال عبد الملك :

- فما هما ؟ قال عمر :

- والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما .. فالتفت عبد الملك الى أولاده وقال : - من علمه
هذا ؟ .. !

بين الأخوين

وطالت أيام عبد الملك بالخلافة ، كما طالت أيام أخيه عبد العزيز في ولاية مصر . وكان أبوهما قد أوصى بالخلافة لعبد العزيز بعد عبد الملك .. ولكن عبد الملك بعد عشرين سنة من خلافته ، أراد أن يستأثر بالخلافة من بعده لابنيه الوليد وسليمان .. واستشار بعض رجاله ، فنهاه أحدهم ، وشجعه آخر .. وقيل أنه دارت بينه وبين أخيه مكاتبات لكي يتنازل

عن الخلافة للوليد ، فأبى عبد العزيز . . فكتب عبد الملك ثانية الى أخيه قائلاً : فاجعل الوليد من بعدك فإنه أعز الخلق الى . . فكتب اليه عبدالعزيز أنى أرى فى أبى بكر بن عبد العزيز (يعنى ابنه) ماتراه فى الوليد . .

فغضب عبد الملك ، وكتب اليه ثالثة : فاحمل خراج مصر الى . . .

فكتب اليه عبد العزيز . . انى واياك قد بلغنا سنا لم يبلغها أحد من أهلنا . . وانا لاندري أينما يأتيه الموت أولا . . فان رأيت ألا تغث على بقية عمرى ولا يأتينى الموت الا وأنت واصل ، فافعل . .

فرق له عبد الملك . . وقال : لا أغث عليه بقية عمره . .

ولم تمر شهور قلائل حتى توفى عبد العزيز بن مروان فى مصر ، وقيل انه دفن فيها أيضا ، بعد أن لبث واليا عليها سنة وشهورا . . ولم يوجد له مال يوم موته الا سبعة آلاف دينار ، رغم أنه كان متوليا خراج مصر وجباتها خلال تلك المدة الطويلة ، مع أن من تولى مصر بعده ، وهو عبد الله بن عبد الملك ، جمع لنفسه ثمانين مدا من الذهب . . ذلك عبد العزيز الإدارى المحنك ، والسياسى الكبير هو والد عمر بن عبدالعزيز . الذى لا ريب أنه أخذ وهو فى مصر طفلا وشابا عن أبيه الكرم والعدل وحسن السياسة ، وحنكة الادارة مما تجلى فى عمر عندما ولى المدينة . .

وبوفاة عبد العزيز أوصى عبد الملك بالخلافة لابنيه الوليد ثم

لسليمان . ولم يلبث عبد الملك أن توفي سنة ٨٦ بعد شهر من وفاة أخيه عبد العزيز وتولى الخلافة ابنه الوليد . .

ولما حضرت عبد الملك الوفاة . . كان عمر بن عبد العزيز بدمشق ، وكانت زوجته فاطمة الى جوار أبيها ، وهو في آخر ساعاته . . ودخل الوليد عليه وفاطمة بنت عبد الملك عند رأس أبيها والدموع تسيل من عينيها . .

فقال الوليد :

— كيف أمير المؤمنين ؟ قال :

— هو أصليح

فلما خرج رنا عبد الملك بعينية الذابلتين الى ابنه الوليد وهو يغادره الى ابنته فاطمة وهي تبكي ثم أنشد :

ومستخير عنا يريد لنا الردى . .

ومستخبرات والدموع سسواجم

وأوصى بنيه وأمرهم بأكرام الحجاج بن يوسف الثقفي
قائلا :

— أكرموا الحجاج فإنه أخضع لكم المنابر يرتفع عليها اسمنا
في كل بلاد الاسلام . . وهو الذي دوخ لكم الامصار وأذل
الاعداء وقيل ان الحسن البصري سئل عن عبد الملك فقال :

ما أقول في رجل (الحجاج) سيئة من سيئاته ! . .